مجلة اللغة العربية وآدابها علمية محكمة
السنة ١٣، العدد ١، ربيع ١٤٣٨هـ
صفحة ١١٧ – ١٤٤

Print ISSN: 1735 -9767
Online ISSN: 2423 - 6187
jal-lq.ut.ac.ir

الدلالة المعجمية في قصيدة "لا تصالح" لأمل دنقل

مهين عنافجه[1]*، صادق إبراهيمي كاوري[2]

١. طالبة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة آزاد الإسلامية، آبادان

٢. أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة آزاد الإسلامية، آبادان

(تاريخ الاستلام: ٢٠١٦/٢/٢٨ ؛ تاريخ القبول: ٢٠١٧/٦/٦)

الملخّص

المقصود من الدلالة المعجمية أو الحقول الدلالية، هو مستوى المادة الخام التي يستلهمها الدارس منهجا تجريبيا على موضوع من الموضوعات اللسانية أو الأدبية ويدرسها دراسة دلالية. وهي نظرية حديثة الظهور تعنى بدراسة مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها ببعضها وتوضح عادة تحت لفظ عام يجمعها ثم يكشف العلاقات فيما بينها. ويرمي هذا البحث إلى دراسة الألفاظ في قصيدة "لا تصالح" لأمل دنقل دراسة دلالية في ظل الحقول الدلالية أو المعجمية، ذلك لأن علم الدلالة أو السيمانتيك يتشعب أساسا من دلالة المعجم من بين جميع الدلالات (الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية). وفي هذا المقال، محاولات لكشف الدلالات التي تدخل في حقول معينة مع الأخذ بعين الاعتبار المنهج الوصفي التحليلي للألفاظ الواردة تحت الحقل المعين ، هذا بالإضافة إلى دراسة أفكار الشاعر ومواقفه خلال الألفاظ التي أوردها. وقد استنتج البحث إمكانية أمل دنقل في توظيف الألفاظ التي يرمي البحث إلى دراستها ضمن الحقول الدلالية أو المعجمية، كما توصل إلى النتائج التي تمخضت عنه العلاقات الدلالية في داخل الحقل المعين وذلك ضمن السياق، مما جعل للنظرية السياقة مكانة هامة في القصيدة إلى جانب نظرية الحقول الدلالية.

الكلمات الرئيسة

الدلالة المعجمية، الحقول الدلالية، أمل دنقل، لا تصالح.

---

* الكاتب المسؤول

Email: mahinanafje.gmail.com

مقدمة

جاءت الدلالة من مصدر الفعل دلّ، وهو من مادة دلل التي تدلّ على الإرشاد إلى الشيء والتعريف به ومن ذلك "دلّه على الطريق، أي سدّده إليه". (ابن جنّي، ١٩٩٧: ج١، ٣٣) وتشكل الدلالة المعجمية جانبا من الدراسات اللغوية الحديثة، فالكلمة داخل المعجم، لها معنى مفرد معادل لبيان الدلالة وحين تدخل الكلمة السياق التركيبي، فإنها تتحد بمعنى واحد وذلك بفضل القرائن المقالية، فضلا عن ارتباط كل سياق بمقام معين، تحدد أبعاده القرائن المتوفرة في النص، وذلك ضمن حقول دلالية ترتبط فيما بينها بمجموعة من الظواهر المتشابهة والقابلة للمقارنة.

يتضح مما سبق ذكره، أن المعنى المعجمي لمصطلح الدلالة يشير إلى كشف الحقيقة وماهية الشيء عندما يكون خفيا أو مستورا، فهي تدلّ على معرفة الشيء وتبيينه حتى يصبح معلوما ومحددا وهذا المعنى أسهم في توجيه المفهوم الاصطلاحي للدلالة مع بعض الاختلاف في الاستخدام.

يلفت النظر إلى أن وقوع اختيار الباحثة على موضوع الدلالة المعجمية في قصيدة "لا تصالح" للشاعر أمل دنقل عموما، لا ينطلق من كونه مطلبا جليلا فحسب، وإنما يعود كذلك إلى ندرة الدراسات في هذا الميدان. واختيار قصيدة "لا تصالح" على وجه الخصوص، يعود إلى لغة أمل دنقل الشعرية ومواقفه السياسية والاجتماعية التي تجسدت أكثر ما تجسدت في قصيدة "لا تصالح".

أما بالنسبة لخلفية البحث، فهناك مؤلفات عديدةتناولت دراسة الدلالة بين النظر والتطبيق، ولكن قلّت الدراسات التطبيقية في مجال تطور الدلالات اللغوية في الدراسات الحديثة، لاسيما الطريقة التي تناول هذا البحث جانبا منها في ظل نظرية الحقول الدلالية، يمكن الإشارة إلى بعضها: تطور الدلالات اللغوية في شعر محمود درويش لسعيد أبو خضرة، قصيدة مديح الظل العالي لمحمود درويش دراسة دلالية لإيمان جربوعة. مع العلم بأن الدراسة الأولى "تطور الدلالات اللغوية في شعر محمود درويش" تدخل في إطار موضوع علم الدلالة التاريخي[1]. وقد أصدرت "الهيئة المصرية العامة للكتاب"، كتاب التطور الدلالي

1. Historical Semantics

للألفاظ في الشعر العربي السياسي المعاصر ١٩٥٠- ١٩٩٠م دراسة دلالية للدكتور أشرف محمد السعدي عام ٢٠١٤.

وهناك مؤلفات أخرى يمكن الإشارة إليها وهي: علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق للدكتور فايز الداية، والتحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه لكريم زكي حسام الدين الذي تناول فيها شرح الألفاظ لغويا وبيّن فيها ما تحمله المفردة من معان أصلية وهامشية.

إن المنهج المتبع في هذا البحث منهج وصفي تحليلي يقوم على دراسة معجمية للألفاظ في قصيدة "لا تصالح" للشاعر أمل دنقل.

أهداف البحث هي:

- دراسة الحقل الدلالي الخاص بأعضاء الجسم الداخلية
- دراسة الحقل الدلالي الخاص بأعضاء الجسم الخارجية
- دراسة لحقل الدلالي الخاص بأدوات الحرب والقتال

كيف بدت الألفاظ التي اختارها الشاعر أمل دنقل في الحقول الدلالية المعينة؟ وهل هي تتفق والروح الخطابية المبنية على الثورة والرفض؟ والأسلوب الذي اتخذه الشاعر هل جاء ملائما لتغيير الواقع والتأثير فيه كما كان يرمي إليه الشاعر نفسه وما هي العلاقات الدلالية التي نتجت عنه الألفاظ داخل الحقول الدلالية؟... كل هذه التساؤلات وغيرها سيكشف عنها هذا البحث اليسير ضمن دراسة دلالية للألفاظ تحدد إلى قدر ما سمات المعجم اللغوي الخاص بالشاعر أمل دنقل. ومع أن هذا الجهد لا يخلو من ثغرات وفجوات، إلا أنه يضاعف إلى ما يبذله الباحثون من دراسات في هذا المجال.

تعريف الدلالة المعجمية

بعد أن بيّنا حيّز الدلالة المعجمية، لابد من تقديم تعريف جامع يحدد الملامح التي تتميّز بها هذه الظاهرة اللغوية لاسيما أن الدراسة تنبني عليها. فالدلالة المعجمية[1] هي تلك الدلالة أو المعاني المتعددة التي يوردها المعجم للألفاظ المفردة أو المرتبة ترتيبا معينا في لغة واحدة أو أكثر. (الكراعين، ١٩٩٣م: ١٠٣)

1. Lexical Semantic

ويرى تمام حسان أن المعنى المعجمي الذي يقوم المعجم بتفسيره حول الكلمة، إيضاحا وشرحا، هو قاصر في حقيقته عن المعنى الاجتماعي أو الدلالي الذي يعنى بتتبع الجملة أو الحدث الكلامي. (حسان، ١٩٨٩: ٢٢٤)

وتتكوّن الدلالة المعجمية من ثلاثة عناصر رئيسة هي:

أ) ما تشير إليه الكلمة في العالم الخارجي، بعبارة أخرى إن الكلمات التي استحدثها الإنسان تشير إلى أشياء موجودة في الخارج، حيث يصبح لكل كلمة معادل يتمثل تلك الأشياء وهو ما يطلق عليه الغربيون (Denotation).

ب) ما تتضمنه الكلمة من دلالات أو تستدعيه في الذهن من معان أي إن جميع العناصر الدلالية التي ليست لها صلة مباشرة بما تشير إليه الكلمة في الخارج أي ما ترتبط به.

ج) درجة التطابق بين العنصر الأول والثاني أي مدى التطابق بين الدلالة المعجمية الأصلية للكلمة والدلالات الهامشية لهذا المعنة المعجمي. (أنيس، ١٩٨٤: ١٠٦)

لابد هنا من الإشارة إلى أن الدلالة المعجمية تكون عرضة للتغيير . وقد أشار الدكتور إبراهيم أنيس إلى الأسباب الداعية لذلك في كتابه دلالة الألفاظ في ثلاثة فصول مستقلة تحت عنوان: تطور الدلالة، عوامل التطور في الدلالة، أعراض التطور الدلالي. (ينظر: أنيس، ١٩٨٤: ١٢٢-١٦٧) وقد اعتبر عبد الغفار حامد هلال أن الدلالة المعجمية تغيرت بعد عصر تدوين اللغة، وذلك نتيجة اختلاف حياة الأجيال المتعاقبة وما جدّ من مستجدّات وأمور تقتضي التغيير. (هلال، ١٩٨٦: ١٩٦)

في نظرية الحقول الدلالية

الحقل الدلالي أو الحقل المعجمي، هو مصطلح من المصطلحات الحديثة الظهور والاستعمال والحقول الدلالية هي مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها، وتوضح عادة تحت لفظ عام يجمعها. (مختار، ١٩٩٨م: ٧٩) وتكمن أهمية هذه النظرية في الكشف عن العلاقات وأوجه الشبه والاختلاف بين الكلمات التي تنطوي عليها تحت حقل معين، وبينها وبين المصطلح الذي يجمعها وإذا كان أقصى ما يحققه المعجم التقليدي، هو أن يصف الكلمات في ترتيب هجائي ويسرد كل معاني الكلمات الأساسية والفرعية، فإن معجم الحقول الدلالية يعالج المجموعات المترابطة من الكلمات التي تنتمي إلى مجال معيّن، وهو ما يعجز عنه المعجم التقليدي. (جربوعة، ٢٠١٠: ١٣٦)

في الواقع إن معالجة معجم الحقول الدلالية للكلمات كما بيّنا، يؤكد قرابة دلالية بين مدلولات نجدها في عدد معيّن من الكلمات وبهذا نرى أن النص الأدبي يحمل في طيّاته معاني أخرى تتعدى بذلك المعاني المركزية وحتى الهامشية، يتكفل السياق بتحديدها؛ لأن اللفظة في النص الأدبي ترمي إلى ما وراء مدلولها. لهذا يصبح لها معان وظلال تتعدى بكثير المعنى المعجمي المركزي منه والهامشي. ومن هنا يتبيّن دور الدلالة المعجمية في عملية الإبداع الفني، فلابد من التطرق إليه عند معالجة أي نص أدبي شعرا كان أم نثرا. فمن خلاله يمكن التوصل إلى سرّ اللفظة التي استعملها الشاعر ومدى إفصاحها عن تجربة الشاعر ومدى نجاحها في القدرة الإيحائية والتعبيرية التي يمتلكها الشاعر حتى يصبح لديه معجمه الخاص.

دراسة في قصيدة "لا تصالح" لأمل دنقل

تتسم قصيدة "لا تصالح"بالبناء المنطقي والمعنى الواضح والخطابية التي لا تفارق صياغته دون أن تقلل من شاعريته المتميّزة. وهي قصيدة تستبدل يالصورة المركبة المعقدة، الصورة البسيطة الواضحة، وبالكلمات المتنافرة، الكلمات المستقة منطقيا. وبلغة الاستعارة لغة التشبيه، وبالكتابة التي تدنو من النثر، المقاطع الإيقاعية ذات النغمة البارزة والقافية التي لا تفلت الوقع الموسيقي، بل تكثفه. وأخيرا تستبدل القصيدة بالمثيرات الفردية، المثيرات الجمعية على نحو يحمل المتلقي إلى حالة شعورية تتناسب وطبيعة الهدف القومي من شعر أمل دنقل الذي كان أكثر أبناء جيله استجابة إلى الجماهير العربية وأكثرهم قدرة على تحريكها. (عصفور، ٢٠١٤: ٢٧)

في الواقع هذه النبذة عن قصيدة "لا تصالح"، تعطينا فكرة واضحة عن أسلوب الشاعر. وتقرّب لنا المفاهيم الدلالية التي سنتوصل إليها من خلال دراسة القصيدة دراسة دلالية ضمن الحقول الدلالية التي سيكون تطبيقها على قصيدة "لا تصالح" بتوزيع لكلماتها إلى مجموعات أو مجالات دلالية كبرى وفق الموضوعات التي تتوزعها، ثم يضاف كل حقل إلى مجموعات دلالية صغرى تدل كل مجموعة على جزء من الموضوع الذي سمّي باسمه المجال الدلالي.

وقد توزعت ألفاظ القصيدة وفق الحقول الآتية:

حقل الألفاظ الدالة على أعضاء الجسم الداخلية:

يضم هذا الحقل وحدات دلالية تتوزع على أعضاء الجسم الداخلية للإنسان التي وردت الألفاظ الدالة عليها في قصيدة "لا تصالح" وقد تكررت غالبيتها لتدل على شيء معين. هذا

وقد تختلف اللفظة الواحدة المتكررة في المقاطع المختلفة (الوصايا العشر) في المعنى، حتى يصبح للفظ الواحد عدة معان. اشتملت هذه المجموعة على تسع عشرة كلمة وهي حسب ورودها وتكرارها في القصيدة: الدم- القلب- الرئة- العظم- الضلع.

- الدم: جاء في تعريفه سائل أحمر يسري في عروق الحيوان جمعه دماء (الوسيط: مادة دم) ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ (يوسف/١٨).

وقد ورد لفظ "دم" في قصيدة "لا تصالح" متكررا في أغلب الوصايا وقد تراوح استعماله بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي غير المباشر:

هل يصير دمي بين عينيك ماء؟

.....

تلبس ـ فوق دمائي ـ ثيابا مطرّزة بالقصب الوصية الأولى (دنقل: ٣٢٥)

لا تصالح على الدم..... حتى بدم!

.....

سيقولون

جئناك كي تحقن الدم.... الوصية الثانية (دنقل: ٣٢٦)

فلا تبصر الدم.....

في كل كف؟

فالدم ـ الآن ـ صار وساما وشارة الوصية الرابعة (دنقل: ٣٢٩)

ثم يصور أمل دنقل رفض التصالح بكل ما تحمله لفظة الدم من دلالة تشير إلى الثأر بوصفه حلا للقضية:

وارو قلبك بالدم..... الوصية الخامسة (دنقل: ٣٣١)

يستنفر أمل دنقل دنقل المخاطب/السلطة، مستغلا عالمه النفسي الذي يختزل مسافة من الخصومة تدفعه إلى اللجوء إلى الاختلاط بآصرة الدم مع الأخ ضدالآخر الجاني، مذكرا إياه بقيمة الدم،مسرح الجريمة وبشاعة الفعل الذي ارتكبه القاتل. (هلال، ٢٠٠٩: ١٢٣)

وفي الوصية الثانية يؤكد الشاعر على ميثاق الثأر، مهما كان الثمن حتى وإن وصلت إلى التضحية بالمماثلة (دمبدم...) ، لأنه في الاعتبار لا يقارن الدم بدم الآخر المغتصب.

كما أن لفظ الدم جاء في سياقات تشير إلى الحرب والقتال وعدم التصالح سواء كان ذلك من خلال المصاحبات اللغوية أو السياق كـ(حقن) أو من خلال المفهوم الذي يستقيه القارئ من السياق ولاسيما من لفظ (أرو).

يشير أمل دنقل في الوصية الرابعة إلى سياسة العدو الذي يخادع حين يشعر بإقدام الآخر وإصراره على المواجهة والثأر، كما يقول عبد الناصر هلال، إن العدو يلجأ إلى الحيل وأساليب المكر والخداع والتضليل، مدعيا رغبته في حقن الدماء حفاظا على الحياة ورابطة العمومة. (هلال، ٢٠٠٩: ١٣٥)

يستخدم أمل دنقل الاستفهام الذي يوحي بالانكسار والرفض، مشيرا من خلال فداحة الجريمة التي ارتكبت في حق آصرة الدم والقربى (إبن أبيك) والإصرار على الخيانة من جانب الآخر الذي أدمن الطعن من الخلف، لذلك تأكد الآن أن الدم أصبح وساما وشارة، فلا مفر من رفض الصلح مهما كانت الإغراءات:

فالدم ـ الآن ـ أصبح وساما وشارة

لا تصالح

ولو توّجوك بتاج الإمارة الوصية الرابعة (دنقل: ٣٢٩)

ثم يتحوّل أمل دنقل من بنية النهي الذي يرفض التصالح إلى بنية الأمر الدال على أحادية الرؤية وشغف الرغبة في مشروعية الثأر بوصفه حلا للقضية التي لا تحسم إلا بالدم، وبالدم وحده يمكن إعادة الحياة إلى دورتها الحقيقية في ظل الحق والعدل. (هلال، ٢٠٠٩: ١٤٢)

بهذا تصبح صورة الدم، معتمدة على عنصر الدم بمعناه المادي المباشر أو الدم/ الموت المرتبط بقيم النضال والتضحية والاستشهاد، ويلاحظ أن كل من يناضل أو يضحي أو يستشهد ـ في شعر أمل دنقل ـ يقترب من الموت/ الدم. (فوزي، ١٩٩٥م: ١١)

فالنضال والتضحية والاستشهاد ـ عند أمل دنقل ـ هي قيم الدم . ومن خلال قيمة هذه القيم الدموية، عبّر أمل دنقل عن قضاياه، محاولا من خلالها أن يعكس لنا هموم جيله وأن يشارك في متابعة الأحداث الجارية ويسهم في تعميق الوعي والوجدان.

كما أن الثنائية الدلالية تبدو واضحة في قصيدة "لا تصالح". يقول مراد عبد الرحمن مبروك: ويعني بالثنائية الدلالية للدم: مفردة الدم التي تطورت في السياق الشعري وشكلت الصورة الكلية وتجاوزت الدلالة الأحادية التي تقف عند المعنى الأحادي للدم إلى الدلالة

الثنائية التي اقترنت بالمستويين الصوري والنصي للدم،وغالبا ما تكون هذه الدلالة متضادة أو متباينة أو متقابلة في آن واحد، سواء في الصورة الواحدة، أو في النص الكلي للقصيدة. ثم يوضح مبروك الثنائية الدلالية للدم قائلا: والقصد من الدلالة الثنائية للدم تلك التي تتشكل من خلال ورود الدم ورودا لفظيا في الصورة أو القصيدة، أي يصرح الشاعر بلفظ الدم في القصيدة وليس من خلال صورة الدم التي تتشكل من الألفاظ الأخرى دون التصريح بلفظ الدم، لأن الاقتصار على الدم الذي يصرح الشاعر بلفظه، سيجعل المفهوم محددا، ولا تفقد دلالة الدم خصوصيتها، ويصبح معيار الثنائية الدلالية للدم أقرب إلى الموضوعية. (ينظر: مبروك، ١٩٩٧م: مقدمة)

ثم تطورت صورة الدم في المرحلة التالية بعد الأولى حتى شكلت النص الكلي للقصيدة وعبرت عن مدلولين متباينين في آن واحد. ومنذ منتصف السبعينات وحتى أواخرها بدأت الدلالة الثنائية للدم تعبّر عن تحوّل الدم إلى الماء. (مبروك، ١٩٩٧: ٧) وهذا ما نجده عند أمل دنقل حين يقول: (هل يصير دمي بين عينيك ماء؟)

- القلب: جاء تعريف اللفظ في المعجم الوسيط، عضو عضلي أجوف يستقبل الدم من الأوردة ويدفعه في الشرايين ... وقلب كل شيء وسطه ولبّه ومحضه... جمعه قلوب. (الوسيط: مادة قلب) وجاء أيضا أن اللفظ مشتق من القلب بمعنى تحول الشيء عن وجهه، تقول: قلب الشيء يقلبه قلبا حوّله ظهر بطن. وقيل سمّي القلب قلبا لتقلّبه. (حسام الدين، ٢٠٠٠: ج١، ١٣٧-١٣٨) ومنه قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾ (آل عمران/١٥٩).

جاء لفظ القلب في قصيدة "لا تصالح" في سياقات تشير مرة إلى الاستعطاف ومرة إلى الوجود، ومرة أخرى تعطيك دلالة جديدة مستقاة من السياق، يقول الشاعر:

إنها الحرب!

قد تثقل القلب الوصية الأولى (دنقل: ٣٣٥)

يريد أمل دنقل أن يعبر عن صعوبة الإقدام على تحقيق عدم المصالحة في ظل الاعتراف بوطأة الاختيار، لأنه واقع بين خيارين: الحرب والعار والأولى تمحو الثانية. (ينظر: هلال، ٢٠٠٩: ١٣٤)

فيقول الشاعر:

لكن خلفك عار العرب

لا تصالح

ولا تتوخى الهربالوصية الأولى (دنقل: ٣٢٥)

وأيضا يقول:

أقلب الغريب كقلب أخيك؟ الوصية الثانية (دنقل: ٣٢٦)

يغطي الاستفهام هنا ملامح الدفقة ليحرك في نفس السلطة الواقعة تحت ضغط الاختيار ـ مشاعر الأخوة وربط الدم ـ في الوقت الذي يشير فيه الاستفهام إلى النفي المقيم من خلال بنية الاستفهام مع الاسم، مما يؤكد الثأر بوصفه حلا وعدلا وخلاصا. (ينظر: هلال، ٢٠٠٩: ١٣٥)

وجاء لفظ القلب بمعنى الاستعطاف في قول الشاعر ويدلّ عليه السياق:

وتذكّر....

(إذا لان قلبك للنسوة اللابسات السواد لأطفالهن الذين تخاصمهم الابتسامة)

أن بنت أخيك "اليمامة"

زهــرة تتسربل..... الوصية الثالثة (دنقل: ٣٢٥)

يشير أمل دنقل في الوصية الثالثة إلى المماثلة في الفعل والموقف حتى لا يتراجع المهلهل ـ بالاستعطاف ــ عن خصومته ورغبته الانتقامية، وحتى يستجيب المهلهل والقارئ إلى التحريض، يلجأ أمل دنقل إلى زمن التذكر الذي يواجه الحاضر: الإيجابية في مقابل السلبية، الحياة في مقابل الموت. (ينظر: هلال، ٢٠٠٩: ١٢٨)

ولأول مرة يستخدم الشاعر فعل الأمر (تذكّر) صراحة في القصيدة والمعطوف على الفعل (لا تصالح)... وهنا نلاحظ أن الشاعر يستخدم (إذا) التي تفيد عدم التأكد من وقوع هذا الأمر، فإنه ما زال في شك من أمر الآخر.

إن ورود لفظ القلب في هذا السياق يجعلنا نلمس الثنائية الدلالية لهذه اللفظة التي اقترنت بالمستويين الصوري والنصي، وتشكلت من خلال ورود القلب ورودا لفظيا في الصورة أو القصيدة، أي قد صرّح الشاعر بلفظ القلب ثم تطورت المفردة في السياق الشعري (لان قلبك/ الاستعطاف) وتجاوزت الدلالة الأحادية التي تقف عند المعنى الأحادي للقلب.

وجاء اللفظ (القلب) بمعنى الوجود في الوصية الخامسة:

عندما يملأ الحق قلبك:

تندلع النار إن تتنفّس (دنقل: ٣٣٠)

وأرو قلبك بالدم.... (دنقل: ٣٣١)

مما يؤكد إعطاء المشروعية الكاملة للثأر، إنه يبرهن في الوصية الخامسة أن حلّ القضية العربية لا يمكن تحقيقه إلا بالقوة. ويعبّر عن روح العقيدة والإيمان إذا ملأت وجود الإنسان الرافض للتصالح، حيث تبلغ أقصى حدودها.

ثم يوظف الشعر أمل دنقل لفظ القلب في سياق استفهامي يدل على الحال/كيف مع الفعل المضارع الدال على الحركة والمستقبل وأكثرها يتعلق بالحلم والرغبة في واقع جميل (تحلم/تتغنى) في الوقت الذي يؤكد أن المعيش سلب هذا الواقع المتخيّل: (ينظر: هلال، ٢٠٠٩: ١٤١)

كيف تحلم أو تتغنى بمستقبل لغلام

وهو يكبر ـ بين يديك ـ بقلب منكس؟ (دنقل: ٣٣٠)

فهو يريد أن يعكس الحالة المأساوية التي ستتغلب على الغلام وهو يكبر في ظل التصالح والاستسلام المذلل. فمن خلال السياق التركيبي، نتوصل إلى الدلالة المقصودة (الحالة المأساوية) وكان للفظ منكّس/ الإضافة دور هام في تحديد الدلالة.

وتتخذ الصيغ الشعرية هنا صيغ أسئلة تتأسس على اسم الاستفهام (كيف) وهي تتضافر عبر البنية الاستفهامية لتبدو كل بنية تدعم الأخرى، ثم إنها تتضافر عبر تماثل ما يليها من الأفعال المضارعة، هذا بالإضافة إلى التماسك الصوتي عبر القافية وتنوعها لتشد بشكل راسخ حلقات المتتالية اللسانية عبر الروى (ك) و(ف) و(م) و(س)، وهذا ما يجعل البنية الكلية الشكلية متماسكة تعضد نفسها بنفسها.

يستخدم الشاعر لفظ القلب في الوصية السابعة، واقفا عند المعنى الأحادي للقلب. ويحدد هذا المعنى الأحادي أو الدلالة الأحادية، السياق الذي من خلاله يمكن التوصل إلى ما تحمله اللفظة من دلالات.

واهتزّ قلبي ـ كفقاعة ـ وانفثأ (دنقل: ٣٣٣)

وفي ظل ربط الشاعر بين رغبة الثأر وقيام الحياة من مرقدها في الوصية الثامنة، يؤكد أمل دنقل أن العدو سلب قيمة الوجود ومعطيات الحياة الحقيقية. ويريد أن يقول إنهم سرقوا الروح وتركوا الجسد ينهشه الدود ويفوح منه عفن المذلة والهوان والهزيمة. (ينظر: هلال، ٢٠٠٩: ١٤٥) كل شيء تحطم في لحظة عابرة ومن ضمنها:

همهمة القلب حين يرى برعما في الحديقة يذوي

و ...

مراوغة القلب حين يرى طائر الموت وهو يرفرف فوق المبارزة الكاسرة (دنقل: ٣٣٤)

جاء أمل دنقل بلفظ القلب هنا، ليدل به على الحب والنقاء. وفي ظل حديثه عن اغتصاب حق الإنسان العربي، يرمي أمل دنقل في الوصية الثامنة أن العدو الذي اغتصب حقه وسرق أرضه، لم يكن سوى لص ولهذا لا يقبل التصالح. لأن التصالح له ميثاق شرف:

فما الصلح إلا معاهدة بين ندّين

(في شرف القلب)

لا تنتقص

والذي اغتالني محض لصٍّ

سرق الأرض من بين عينيّ (دنقل: ٣٣٥)

والملاحظ هنا فيما ورد فيه لفظ القلب، المعنى المعجمي أو الدلالة المعجمية التي تحمل في أصلها دلالة ثنائية، كما مرّ ذكره في تعريف لفظ القلب معجميا. وقد اكتفى الشاعر بهذه الدلالة، إلا أنه قد حمّلها أحيانا أخرى دلالات جديدة لا تتأتى إلا من خلال السياق كما أشرنا آنفا في (إنها الحرب قد تثقل القلب، وأرو قلبك بالدم، يملا الحق قلبك...الخ)

- العظام: جمع العظم وهو القصب الذي عليه اللحم، جمعه أعظم، وعظام وعظم الشيء أكثره. وأيضا جاء في المعجم الوسيط عظُم الشيء عظما وعظامة، كبر... جمعه عظام وعظماء. (الوسيط: مادة عظم) ومنه قوله تعالى: ﴿**قال ربّي إنّي وهَنَ العَظْمُ منّي واشْتعلَ الرأسُ شيبا**﴾ (مريم/٤).

جاء لفظ العظام في الوصية السادسة من قصيدة لا تصالح، في سياق يشير إلى المعنى المركزي مرة وأخرى يشير إلى المعنى الهامشي أي الكبرياء، من خلال ما تحمله الدلالة من ترادف في المعنيين، أي معنى أصل العظام وهو القصب الذي يكسوه اللحم ومعنى الكبر والعظمة في صفات الأشياء وهنا نفهم معنى الكبرياء من السياق والمصاحبة اللغوية الآتية:

وأرو قلبك بالدم

وأرو التراب المقدس

وأرو أسلافك الراقدين

إلى أن ترد عليك العظام (دنقل: ٣٣١)

يقول أحمد فضل شبلول: «وتكمن الاستحالة في هذه الصورة، في السطر الأخير "إلى أن ترد عليك العظام". ومن هنا يظل الآخر عاكفا على إرواء قلبه بالدم وعاكفا على إرواء التراب المقدس من هذا الدم، وعاكفا على إرواء الاسلاف الراقدين إلى أن ترد عليه العظام، إلى أن تحدث معجزة وترد العظام، أو إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها» (شبلول، ٢٠٠٦: ٩).

- الضلع: وهو في اللغة عظم من عظام قفص الصدر منحن وفيه عِرَضٌ (تؤنّث وتذكّر)، جمعه أضلع وضلوع وأضلاع، ومنه الضليع: القوي الشديد الأضلاع. (الوسيط: مادة ضلع)

وجاء لفظ الضلع بصيغتي الجمع والتثنية في قصيدة "لا تصالح" حيث يقول أمل دنقل:

يستولد الحق

من أضلع المستحيل (دنقل: ٣٣٢)

وهنا قد تجاوزت اللفظة من معناها الحقيقي إلى المعنى المجازي عن طريق الإضافة الاستعارية، ولهذا حملت دلالة مجازية تنتقل فيها الدلالة من المجال المحسوس إلى المجال الذهني. ثم إن التطور الدلالي تحقق من موقعية التركيب (يستولد الحق) ثم (أضلع)، حيث يجسد عملية ولادة الحق من أضلع المستحيل، وظهر لنا كيف تم التطور الموقعي، فكل مفردة في التركيب مؤلوفة من قبل إلا أن اجتماعها معا هو الذي منحها المساحة الجديدة في التطور والواقع. ثم إن الشاعر يوظف لفظ "ولد" وهو فعل في باب الاستفعال ليدل به على الطلب، (يستولد) وهذا ما يؤكده السياق الذي جاء قبله في "يطلب الثأر". (دنقل، ٢٠٠٩: ٣٣٢)

ومن جهته، التفت عبد الناصر هلال إلى الانتظار الإيجابي من خلال هذا التعبير من حيث إنه يشكل الأفق الرؤياوي المستقبلي عند "أمل"، فهو برغم عتمة الواقع المعيش ومعطيات الانكسار والانهزام، فإنه تعلق الأمل على القادم القادر على تحقيق رغبة شعب وأمة إذا كان المهلهل بن ربيعة/ السلطة سوف يتراجع عن حقه في الثأر. (هلال، ٢٠٠٤: ١٤٤)

ويستولد هنا رمز لرسم حالة جديدة وليكون جزءا في صورة فنية لموقف من المواقف. كما في قوله:

ثقبتني قشعريرة بين ضلعين الوصية السابعة (دنقل: ٣٣٣)

إن استعارة (ثقبتني) تكسب جدّتها من ارتباطها المجازي بـ(قشعريرة)، وهي لفظة عرف استعمالها مع فعل (أصاب) والثقوب ترتبط بالأدوات والمصنوعات، ومن جهة أخرى منحت دلالة قشعريرة الحديثة إضاءة جديدة للصور القائمة على التشبيه.

ويقول الشاعر في مكان آخر:

إنه الثأر

تبهت شعلته في الضلوع...

إذا ما توالت عليه الفصول... الوصية السادسة (دنقل: ٣٣٢)

يريد الشاعر بالضلوع هنا المعنى الهامشي للفظ، وهو ما يدل عليه من القوة أو الشدة ولكن هنا أراد عكسه وهو الضعف. ودلّ عليه السياق. واستعمال فعل (تبهت) بمعية (شعلته) للضلوع، أكسب اللفظ دلالة جديدة. يقول إنالوقت عندما يطول، فإن حدّة الرغبة من الثأر ستنكسر وناره تخبو في الضلوع أي تضعف الإرادة شيئا فشيئا.

كما وردت من هذه المجموعة الدلالية من أعضاء الجسم الداخلية، الرئتان وقد جاءت للدلالة على المعنى الحقيقي لهذه الأعضاء (كيف تستنشق الرئتان النسيم المدنَّس؟).

حقول الألفاظ الدالة على أعضاء الجسم الخارجية:

ومن المجال الدلالي العام وهو الألفاظ الدالة على جسم الإنسان الخارجي، وحدات دلالية تفرعت من هذا المجال الدلالي في قصيدة "لا تصالح" وهي كالآتي:

- اليد: وهي الكف وتشكل اليد وأجزاؤها، الوحدات الدلالية المتفرعة عن المجال الدلالي العام الذي يشير إلى جسم الإنسان وجوارحه. وجاء في تعريف اليد: من إعضاء الجسد، وهي من المنكب إلى أطراف الأصابع (مؤنثة)... ومنه يد السيف والسكين والفأس والرحى. ولها معان أخرى يمكن اعتبارها هامشية وهي: السلطان، القوة، القدرة والجماعة. (ينظر: الوسيط: مادة يد) من ذلك قوله تعالى: ﴿**لئن بَسَطْتَ إليَّ يدكَ لتَقْتُلَني ما أنا باسطٍ يدِيَ إليكَ لأقتُلَكَ**﴾ (المائدة/٢٨)، وقوله تعالى: ﴿**فَوَيْلٌ للذينَ يكتُبونَ الكتابَ بأيْديهِم ثُمَّيقولونَ هذا مِنْ عنْدِ الله**﴾. (البقرة/٧٩).

وقد تراوح استعمال لفظ (يد) في القصيدة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي. فنجد اللفظ مرة في مصاحبة لغوية لألفاظ أخرى تشير إلى القبض والإمساك بأدوات القتال، كما في قول الشاعر امل دنقل:

هل تتساوى يد.... سيفها كان لك

بيد سيفها أتكلك؟ الوصية الثانية (دنقل: ٣٢٦)

وأيضا قوله:

لم يكن في يدي حربة

أو سلاح قديم، الوصية السابعة (دنقل: ٣٣٤)

جاءت لفظ يد هنا لتدلّ دلالة حقيقية، حيث يتحدّث أمل دنقل عن الإنسان العربي الضعيف الذي يفقد حربة أو سلاحا قديما يحمي به نفسه.

وفي قوله:

كيف تنظر في يد من صافحوك

.....

فلا تبصر الدم... في كل كف؟ الوصية الرابعة (دنقل: ٣٣٩)

باعتبار أن ارتكاب الجريمة ترتبط ارتباطا مباشرا باليد، ويدلّ عليه الاقتران اللفظي الذي يلعب دورا هاما في تحديد دلالة الكلمات من خلال المصاحبات المختلفة والذي يمتلك نوعا من التواتر المتلازم. (ينظر: حسام الدين، ٢٠٠٠: ٤٣) كما يلاحظ الترادف بين لفظي يد وكف، والترادف ظاهرة من الظواهر الدلالية أو ما تعرف بالعلاقات الدلالية... وهي تدور حول تعدد الألفاظ للمعنى الواحد (ينظر: الداية، ١٩٩٦م: ٨٣) بغض النظر عما يحمله اللفظان من فروق لغوية.

ونجد مرة أخرى لفظ يد تأخذ دلالات أخرى عديدة عن طريق المجاز كقوله:

حرمتها يد الغدر

من كلمات أبيها الوصية الثالثة (دنقل: ٣٢٨)

نلاحظ أن لفظ يد خرجت عن معناها المعجمي الحقيقي المباشر من حيث هي عضو من أعضاء الجسم الإنساني وتعدّته إلى دلالة مجازية، لما تحمله الكلمة من استعارة مكنية. وتنتقل الدلالة فيه من المجال المحسوس في هيئة معيّنة (يد) إلى المجال الذهني (الغدر) إن جاز التعبير.

وأيضا في قول الشاعر:

ثم تبقى يد العار مرسومة (بأصابعها الخمس)

فوق الجباه الذليلة! الوصية السادسة (دنقل: ٣٣٢)

هنا أيضا خرجت لفظة يد عن معناها الحقيقي، لتدلّ مجازا على المذلّة والقناعة بالهوان والضعف العربي. ويفهم ذلك من خلال السياق. ولم يكتف إلى هذا بل يؤكد على

الإبقاء على هذه الحالة في حال تحقق الصلح. فجاء هذا التأكيد متمثلا بـ(أصابعها الخمس) متقارنا مع (يد العار) لفظا.

وأصابع مفرده إصبع وهو الجزء الصغير المتشعب من الكف (اليد)، ويلاحظ ما بينهما من علاقة الجزء بالكل. وبهذا التأكيد يريد أن يقول الشاعر بأن العار سيبقى مرسوما فوق جباه الشعوب ويكون مستمرا.

وفي قوله: (لم أمدّ يدا لثمار الكروم) (دنقل، ١٩٨٧: ٣٣٣) تدلّ لفظ يد هنا على التجاوز ويؤكد هذا المعنى، قوله في بداية المقطع (لم أكن غازيا)، فمن خلال السياق اتضحت الدلالة وتنتقل الدلالة من المجال المحسوس في هيئة معينة (يد) إلى المجال الذهني (التجاوز) عموما. (ينظر: الداية، ١٩٩٦: ٢٣٥)

- الرأس: جاءت كلمة الرأس بلفظي المفرد والجمع في القصيدة ليوظفها في تحريك مشاعر الأخوة وروابط الدم، وليكون خطابه عاما يشمل الجميع. شأنه في ذلك شأن سائر أعضاء الجسم الداخلية والخارجية في الوصية الثانية التي وظفها الشاعر لنفس الغرض، مؤكدا على الثأر:

لا تصالح على الدم.. حتى بدم!
لا تصالح! ولو قيل رأس برأسٍ
أكلُّ الرؤوس سواءٌ؟
أقلب الغريب كقلب أخيك؟!
أعيناه عينا أخيك؟!
وهل تتساوى يدٌ.. سيفها كان لك
بيدٍ سيفها أثْكَلَك؟

- الوجه: جاء في القصيدة بصيغة الجمع (أوجه) وهو الجزء الأعلى من جسم الإنسان. وجاء في تعريفه لغويا، ما يواجهك من الرأس، وفيه العينان والفم والأنف، وما يقبل من كل شيء. ومنه سيد القوم وشريفهم، ومن النهار أوله. (ينظر: الوسيط: مادة وجه) ونفس الشيء وذاته، كما جاء في قوله تعالى: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهَ**﴾ (القصص/٨٨).

وقد جاء لفظ وجه ليدلّ على غير معناه الأصلي. يقول أمل دنقل:

وكيف تصير المليك...

على أوجه البهجة المستعارة (دنقل: ٣٢٩)

وأيضا قوله:

فرأيت ابن عمي الزنيم

واقفا يتشفى بوجه لئيم (دنقل: ٣٣٣)

جاءت لفظة أوجه في سياق يدلّ بها على الخيانة من جانب الآخر، وما يؤكد هذه الدلالة، البهجة المستعارة التي لحقت بالأوجه مباشرة. وفي وجه لئيم يدلّ لفظ وجه على حالة الإنسان الخاضع للتصالح التي يستشف منها المذلّة والهوان.

- الجبهة: ما بين الحاجبين إلى الناصية، جمعه جباه ومنه الجماعة من الناس... وجبهة القوم سيدهم. (الوسيط: مادة جبه)

وجاءت لفظ جبهة في قصيدة "لا تصالح" حاملة سمة التجريد، لاسيما مجيئها في السياق التركيبي (واغرس السيف في جبهة الصحراء)، فتخرج الدلالة من مفهوم خاص معلوم إلى مفهوم عام مجهول. وينشأ عن ذلك بعد رمزي توحي به كلمة (الصحراء) كدالّ، وتستند العبارة إلى مرجع معنوي تعمل الأوجه البلاغية على تسييجه بالغموض الفني المطلوب. (المساوي، ٢٠٠٦: ٩) وتتمثل هذه الأوجه في الاستعارة المكنية الدالة على التجسيد، تحققه استعارة الجبهة للصحراء. وهي من الصور الشعرية البارزة جدا التي من الممكن أن يقال عنها إنها مستحيلة، لأن العدم من المستحيل أن يجيب. ومن هنا يظل السيف مغروسا في جبهة الصحراء، استعدادا للحرب التي ستستمر حتى يجيب العدم!

- العين: عضو الإبصار للإنسان وغيره من الحيوان. وينبوع الماء، ينبع من الأرض، جمعه أعين وعيون. أهل البلد، أهل الدار، الجاسوس، ورئيس الجيش وطليعة الجيش، كبير القوم وشريفهم، ذات الشيء ونفسه. (الوسيط: عين) ومنه قوله تعالى: ﴿**وابيضَّتْ عَيْناهُ مِنَ الحُزْن فهوَ كَظِيم**﴾ (يوسف/٨٤) وقوله عزّ وجلّ: ﴿**فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ**﴾ (الرحمن/٦٦).

وردت لفظ عين في القصيدة لتدلّ دلالة حقيقية، وفي بعض الوصايا يحدد السياق التركيبي ما يرمي إليه اللفظ من دلالات، يقول أمل دنقل:

لا تصالحْ!

ولو منحوك الذهبْ

أترى حين أفقأ عينيكَ

ثم أثبت جوهرتين مكانهما..

هل ترى..؟

هي أشياء لا تشترى..: الوصية الأولى (دنقل: ٣٢٤)

وجاء لفظ عين هنا في سياق يستشف منه الثابت مقابل المتحول، فالذهب والجوهر في تصور أمل دنقل لا تحقق متعة الوجود في الوقت الذي يستشعر فيه الإنسان أنه مسلوب الإرادة. لذا يأتي الاستفهام دالاً في موضعه، حيث يشير إلى النفي من خلال جدلية الثابت والمتحول: الرؤية/ عينيك، جوهرتين/ المقابل النفعي. ثم يستخدم جملة اسمية تؤكد عدم التجاوز والانتقال مما هو سلبي إلى ما هو إيجابي وتشير إلى ثبوتيته الدلالية: (هي أشياء لا تشتري). (ينظر، هلال، ٢٠٠٩: ١٣٢)

وتشكل العلاقة بين العين والرؤية في (عينيك/ ترى) الحقول التركيبية. وهي تشكل مجموع الكلمات التي ترتبط فيما بينها عن طريق الاستعمال النحوي فيه. وواضح أن العلاقة بين هذه الكلمات لا يمكن أن تكون مع غيرها. (ينظر عزوز، ٢٠٠٢: ١٠)

ويقول الشاعر في مكان آخر: (هؤلاء الذين تدلّت عمائمهم فوق أعينهم)، مصورا واقع الشعب العربي من القضية، فهم غير مكترثين، يعيثون في الأرض فسادا، والدلالة التي يمكن أن ترمي إليها كلمة أعينهم تكمن في كونهم أصبحوا لا يرون بل لا يبصرون حقيقة الأمور، وانشغالهم بالفروق الطبيقية. فتعينهم السيادة حتى يمارسوا قهرهم وبطشهم ضدّ العبيد/الشعوب المغلوبة على أمرها. كما أن أدواتهم في مواجهة العدو لم تزل بالية. لا تحركها العزة والكرامة. (ينظر: هلال، ٢٠٠٩: ١٤٩)

- اللسان: جسم لحمي مستطيل، متحرك يكون في الفم ويصلح للتذوق والبلع والنطق، جمعه ألسنة، ألسن ولُسُن، واللغة. (الوسيط: مادة لسن) وفي التنزيل العزيز: ﴿**فإنما يَسَّرْناهُ بلِسانِكَ**﴾ (مريم/٩٧) كما أن اللفظ يحمل معاني أخرى: الخبر أو الرسالة، الحجة، الثناء، ولسان القوم: المتكلم عنهم و...الخ. (الوسيط: ٨٢٤)

جاء لفظ اللسان في القصيدة مرة واحدة وتحمل دلالة مجازية نفهمها من خلال السياق الذي وردت فيه اللفظة في ظل الاستعارة المكنية التصريحية. يقول الشاعر:

عندما يملأ الحق قلبك

تندلع النار إن تتنفّس

ولسان الخيانة يخرس (دنقل: ٣٣٠)

كما يمكن القول هنا إن الدلالة تنتقل فيه من المجال المحسوس في الهيئة المعينة (لسان) إلى المجال الذهني (الخيانة).

وقد ذكر الشاعر الساق أيضا في القصيدة إلا أنها تحمل المعنى الحقيقي- هو ساق الرجل- ولكن وظفها في صورة فنية يحددها السياق التركيبي:

كنت إن عدتُ

تعدو على درج القصر

تمسك ساقي عند نزولي ...

فأرفعها وهي ضاحكة ....

فوق ظهر الجواد الوصية الثالثة (دنقل: ٣٢٧)

تتمثل الدلالة هنا في الصورة الفنية الحديثة وجاءت هذه الحداثة من تركيب كلمات في سياق معين؛ لأن جزءاً من عالم الشاعر وآفاقه المتميّزة، إنما ترسخها الكلمات الحديثة أو بالأحرى السياق الحديث. وقد تجسدت الصورة بـ(تمسك ساقي عند نزولي فأرفعها وهي ضاحكة فوق ظهر الجواد)، وهنا تطور في دلالة الساق الذي شبهها بظهر الجواد، والعلاقة في التشبيه هو الهيئة الحاصلة عن رفع الساق. وقد ورد لفظ الساعد بالمثنى وبمعناه الحقيقي في قصيدة "لا تصالح" (وتحاملتُ، حتى احتملت على ساعديَّ).

ينقل الدكتور فايز الداية عمّا أورده الثعالبي من الحالات التي جاءت في فصل خاص للاستعارة مما يدخل في باب الاستعارة المعرفية كقولهم في استعارة الأعضاء ما ليس من الحيوان، (كما ورد هنا من يد العار ويد الغدر) فيقول الداية: "فهذه استعارات كثر تداولها إلى أن تحوّلت إلى الرصيد الدلالي العام. (ينظر: الداية، ١٩٩٦م: ٤٢٧)

والجدول الآتي يوضح نسبة ورود الألفاظ الدالة على الأعضاء الداخلية والخارجية لجسم الإنسان في القصيدة:

الوحدات الدلالية	تكرارها في القصيدة	نسبة تواترها
الدم	١١	٪٢٠,٣٧
القلب	١١	٪٢٠,٣٧
اليد	٨	٪١٤,٨١
العين	٧	٪١٢,٩٦
الضلع	٣	٪٠٥,٥٥
الرآس	٣	٪٠٥,٥٥
الوجه	٢	٪٠٣,٧٠
الجبهة	٢	٪٠٣,٧٠
العظام	١	٪٠١,٨٥
الكف	١	٪٠١,٨٥
الأصابع	١	٪٠١,٨٥
الرئة	١	٪٠١,٨٥
اللسان	١	٪٠١,٨٥
الساق	١	٪٠١,٨٥
الساعد	١	٪٠١,٨٥

جدول رقم ١

من خلال هذا الجدول، يمكن ملاحظة كثرة الأصوات الشديدة أو الانفجارية (الهمزة، الباء، الجيم، الدال، الضاد، القاف، الكاف) بالنسبة للأصوات الرخوة أو الاحتكاكية (السين، الصاد، الظاء، العين، الفاء، الهاء). (انظر: أنيس، د.ت: ٢٥) وهذه الحروف أو الأصوات تحمل صفات صوتية خاصة، كما أنها تساهم في خلق تناغم موسيقي مثير يزيد المعنى إيضاحاً، «كما كان يعمد إليه ابن جني في ربطه بين أجراس الحروف والمعاني المعبّر عنها، وأهمية هذا الضرب من التأليف، إذ به يقوى المعنى ويتأكد، ومما يؤيد ذلك أن استعمال هذه الكلمات في الجمل والعبارات، من شأنه أن يمنح الكلام كله سمات صوتية معينة، وأن يخلق جواً موسيقياً خاصاً، من شأنه أن يوحي بالصورة المراد التعبير عنها ويجعلها قريبة معلومة» (بشر، ٢٠٠٥: ٤٠٥).

حقل الألفاظ الدالة على أدوات الحرب والقتال

لقد أعدّ أمل دنقل للموت أدواته، كما يشير إلى ذلك المجال الدلالي الخاص بأدوات الحرب والقتال من الكلمات الشاهدة وهي: السلاح، السيف، الحسام، الحربة، السهم، السكينة

والدرع. ولكن نجد السيف من أهم أدوات القتال في قصيدة "لا تصالح"، فقد تكررت تسع مرات. كما نجد له مرادفات تتمثل في كلمة (حسام).

- السلاح: اسم جامع لآلة الحرب في البر والبحر والجو والجمع أسلحة. (الوسيط: مادة سلح) وقيل يشمل ذلك ملابس الحرب والقتال أيضا. (حسام الدين، ٢٠٠٠: ج٢، ٥٩٦) لهذا فهو يعتبر من المجموعة الدلالية التي تشير إلى أدوات الحرب. وقد جاء السلاح بمعناه الأصلي في القصيدة:

لم يكن في يدي حربة

أو سلاح قديم

جاء لفظ حربة بمعناه الأصلي، وهي تشكل الجزء من الكل (السلاح)، وقد جاءت بمعناها الأصلي. ولكن في قوله: (لم يكن غير غيظي الذي يتشكى الضمأ) قد جاءت لفظة الضمأ هنا لتدل على الثأر والانتقام، فخرجت عن معناها الأصلي مجازا لتشير إلى دلالة معينة تستشف من السياق.

والسياق اللغوي هذا، لا ينظر إلى الكلمات بوصفها وحدات منعزلة أي أن الكلمة يحدّد معناها بعلاقتها مع الكلمات الأخرى في السلسلة الكلامية، وأيضا من آليات الدلالة القرنية أو الموقف الذي يقال فيه الكلام أي الظروف التي يحدث في السياق. (ينظر: حسام الدين، ٢٠٠٠: ج١، ٨٣)

- السيف: نوع من الأسلحة معروف. ويقال: بين فكّي فلان سيف صارم: إذا كان حديد اللسان، الجمع سيوف وأسياف. (الوسيط: مادة سيف)

جاء اللفظ في قصيدة "لا تصالح" ليدل على المقاومة والمواجهة وهناك دلالات أخرى سنشير إليها في السطور الآتية. يقول أمل دنقل:

تلك الطمأنينة الأبدية بينكما

إن سيفانسيفك

صوتان صوتك الوصية الأولى (دنقل: ٣٢٥)

يدل لفظ السيف هنا على الترغيب إلى الاتحاد ووحدة الكلمة من خلال التذكير والرجوع إلى الماضي الإيجابي. وفي مكان آخر، نرى السيف يدلّ على الاختيار:

وهل تتساوى يد... سيفها كان لك

بيد سيوفها... أتكلك؟

جاء لفظ السيف في سياق يؤكد وقوع السلطة تحت ضغط الاختيار في ظل تحريك مشاعر الأخوة وروابط الدم. وفي قوله: (واغرس السيف في جبهة الصحراء...)

استعمل الشاعر لفظ السيف للتعبير عن الغدر من جانب الطرف الآخر، يريد أن يقول إن سيف العدو دائما يمارس الغدر رغبة في تحقيق وجوده على حساب الآخر فيغتصب الأرض والإرادة. (ينظر، هلال، ٢٠٠٩: ١٣٥)

وفي قوله:

إن عرشك: سيفٌ

وسيفك. زيفٌ

إذا لم تزن بذؤابته- لحظات الشرف

واستطبت (حياة) الترف (دنقل: ٣٢٩)

يدل السيف الأول على التحذير من أن السيف الذي أصابه، سيصيب الأخ أيضا. والسيف الثاني يدل على النفاق والوهم. هنا ما يزال دنقل يدافع عن خياره، فيرفض الصلح مهما كانت المغريات حتى وإن كانت هذه المرة تاج الإمارة، فكل شيء سيكون زيفا ونفاقا، إنه يحذر من أن السيف الذي أصابه سيصيب الأخ/المواطن أيضا، فمن غدر مرة سيغدر كل مرة، ثم ما العرش إن لم يكن شرفا وعزة وكرامة ودونها وهم وزيف. (كشاورز، ١٣٩٤: ٥)

ويلاحظ في دلالة السيف في جميع هذه المقاطع، انتقال المعنى من المحسوس (هيئة السيف) إلى ما هو مجرد ذهني (الوحدة، ضغط الاختيار، الغدر، النفاق والتحذير)

ثم يقول الشاعر:

لا تصالحْ

ولو وقفت ضدّ سيفك كل الشيوخ

والرجال التي ملأتها الشروخ الوصية التاسعة (دنقل: ٣٣٥)

جاء لفظ السيف هنا للتعبير عن قوة العزيمة التي تشير إلى حدّة السيف في ظل تحذيره من أبناء قبيلته، فربما يجد هذا التصالح هوى في نفوسهم، لذا فإن الشاعر يكشف له الحقيقة في هذه الوصية، لأن مثل هؤلاء ما هم إلا رجال ملأتهم الشروخ. وقد عمد الشاعر إلى استخدام (التي) للرجال بدلالة أنهم يفقدون صفات الرجولة التي ضاعت مضامينها وفقدت أركانها عند الكثيرين فصاروا أشباه الرجال ولا رجال.

وهنا استعار الشاعر فعل (ملأ) للشروخ وهو اتساع وتطور في الاستعمال والدلالة هنا تنتقل من محسوس معين (سيف) إلى ما هو مجرد ذهني أي ثمة تطور في الحسي إلى الذهني.

ثم استعمل الشاعر لفظ الحسام وهو السيف القاطع وحسام السيف: طرفه الذي يضرب به. (الوسيط: مادة حسم) واللفظ مشتق من قولهم حسم الشيء يحسمه حسما قطعه. (حسام الدين، ٢٠٠٠: ج٢، ٣٣١)

وجاء الحسام قي القصيدة، في معنى هيئة السيف أي المعنى الأصلي:

لا تصالح

ولو قال من مال عند الصدام

"... ما بنا طاقة لامتشاق الحسام"

.....

ولو قيل ما قيل من كلمات السلام الوصية الخامسة (دنقل: ٣٣٠)

والملاحظ في لفظ الحسام هنا، مصاحبته اللغوية بلفظ مألوف وهو (امتشاق). كما يلاحظ في هذا الجزء من الوصية أن «الغائب يصبح حاضرا، لأننا سنعرف أو أننا نعرف بالفعل من هو الذي يمكن أن يقول ما بنا طاقة لامتشاق الحسام، ومن يداعبنا بكلمات عن السلام وبكلمات من السلام» (شبلول، ٢٠٠٦: ٩).

وهنا السياق هو الذي يحدد الدلالة ولفظ الحسام والسلام، استعمال مجازي،ينتقل بهما الشاعر إلى حدود الحقيقة وهي أن الغائب يصبح حاضرا، إن جاز التعبير.

وهنا نجد علاقة الترادف بين السيف والحسام، وهما دلالة على شيء واحد ولكن باعتبارين، أحدهما على الذات (السيف) والآخر على الصفة (الحسام). (ينظر: حسام الدين، ٢٠٠٠: ج١، ٢٢)

يقول الشاعر في الوصية التاسعة:

وسيوفهم العربية قد نسيت سنوات الشموخ (دنقل: ٣٣٦)

يدل لفظ السيوف هذا على العزة والكرامة والماضي البطولي لتنتقل فيه الدلالة من المحسوس المعين (هيئة السيف) إلى ما هو مجرد ذهني (العزة والكرامة). وهذا يدخل في مجال «نقل العلاقة التصورية أي نقل المعنى وذلك المقصود والمجازات» (الداية، ١٩٩٦: ٣٨١). كما نرى أن الشاعر يراعي الجوانب الاجتماعية والثقافية للمجتمع العربي، فيختار (السيف) وهو رمز العروبة.

ومن الألفاظ الدالة على آلات القتال والحرب، لفظ:

السهم : عود من الخشب يسوّى، في طرفه نصل يرمى به عن القوس... والجمع أسهم وسهام. (الوسيط: مادة سهم) يقول أمل دنقل في "لا تصالح":

إن سهما أتاني من الخلف...

سوف يأتيك من ألف خلف (دنقل: ٣٢٩)

يدلّ السهم هنا على الإصرار على الخيانة. ويفهم ذلك من خلال السياق أي أن السياق، هو الذي يحدد المعنى. وفي موضع آخر ووصية أخرى يقول الشاعر:

ليس أنبل مني... ليقتلني بسكينته،

ليس أمهر مني... ليقتلني باستدارته الماكرة (دنقل: ٣٣٥)

لفظ (سكّينة)، هو لفظ الجزء من الكل (السلاح)، وقد جاء بمعناه الأصلي وبمصاحبة فعل (قتل). في الواقع يؤكد أمل دنقل هنا سبب إصراره على الثأر. «لأن موته لم يكن قدريا، يخضع للمشيئة الإلهية، ولكنه موت تم بالاغتيال والتربص والغدر، لهذا يرى أمل أن وضعية الإنسان العربي ومكانته أكثر سموا وعزة من عدوه، كما أن الإنسان العربي أمهر في فنون الكر والفر والمنازلة من غيره» (ينظر: هلال، ٢٠٠٩: ١٤٧).

ومن الألفاظ الدالة على أدوات الحرب والقتال، الدرع. والدرع: قميص من حلقات من الحديد متشابكة يلبس وقاية من السلاح (يذكر ويؤنث) والجمع، دروع وأدرع وأدراع. (الوسيط: مادة درع) يقول أمل دنقل:

وغدا...

سوف يولد من يلبس الدرع كاملة

يوقد النار شاملة

يطلب الثأر (دنقل: ٣٣٢)

وقد أشير لفظ الدرع إلى الثأر وقد تحولت الدلالة مما هو محسوس إلى ما هو مجرد ذهني (الثأر)، كما أن لفظ (الدرع) يدل على الاستعداد الكامل إلى الثأر إن جاز التعبير.

والجدول الآتي يوضح نسبة ورود الألفاظ الدالة على أدوات الحرب والقتال:

الوحدات الدلالية	تكرارها في القصيدة	نسبة تواترها
السيف	٩	٦٤,٢٨٪
السلاح	١	٠٧,١٤٪
الحسام	١	٠٧,١٤٪
السهم	١	٠٧,١٤٪
الدرع	١	٠٧,١٤٪
السكينة	١	٠٧,١٤٪

جدول رقم ٢

من خلال هذا الجدول يمكن التوصل إلى تكرار حرف السين في هذا الحقل، وصوته المتماسك النقي يوحي بإحساس لمسي بصري، هو أقرب للصفير وليس في صوته ما يوحي بأي إحساس ذوقي أو مشاعر إنسانية. (عباس، ١٩٩٨م: ١٠٩)

ثنائية العلاقات السلبية والإيجابية في قصيدة "لا تصالح"

كشفت الألفاظ الشاهدة، على وجود هاتين العلاقتين. وإن طغت الأولى على الثانية. فقد سادت القصيدة العلاقات السلبية المتمثلة في الثأر الذي يعدّ أحد معطيات الحرب والقتال. فقد تضافرت كلمات عديدة لرسم ملامح هذه العلاقة مثل كلمة القتل اسما وفعلا (ثلاث مرات)، والدم بصيغتي المفرد والجمع (سبع مرات)، والموت فعلا (مرتان). كما أن كلمة (موت) جاءت في سياقات متعددة تشير إلى الحرب المتمثل بالثأر. واندلاع النار هو تعبير آخر يدل على الحرب.

وأما كلمة السلام التي وجدت مكانا ضئيلا في القصيدة، يمكن أن نلمسها من خلال السياقات المتعددة التي أشار فيها أمل دنقل إلى السلام بصورة غير مباشرة متمثلة في عملية الصلح. وذلك من خلال التساؤلات التي ساقها الشاعر في عبارات استفهامية يستشف منها السلام غير المنشود الذي ينفيه أمل دنقل كليا لكونه يخلف العار للعرب. لهذا يأتي تأكيده على الحرب واضحا، مكررا لفظ "لا تصالح" في كل وصية من وصاياه العشر.

وفي قصيدة "لا تصالح" تتحقق العلاقات الإيجابية، منها العيش الكريم في ظل الحرب وطلب الثأر، أما العلاقات السلبية، منها الموت وطلب الثأر والحرب، فهي تتحقق في ظلها كرامة الإنسان العربي والاحتفاظ بالأراضي العربية.

ومن هنا يمكن القول إن الشاعر أمل دنقل جعل للشعر قيمة اجتماعية والتزاما إنسانيا وظف صوت الحرية في شعره فانتصر للقيم الإنسانية والحرية حيث يمتدّ كيان الفرد إلى الوطن وكيان الوطن إلى المجتمع الإنساني العام، فاتسعت قراءته مع الواقع السياسي والاجتماعي الذي كانت تعيشه مصر والأمة العربية على حد سواء. (أنظر: نجفي أيوكي، ١٤٣٤هـ: ٦٣)

النتائج

قامت الدراسة على أسس معينة بدأت بتحليل اللفظ لغويا وجاءت وفق المنهج الوصفي التحليلي الذي يتناسب مع هذا النوع من التحليل، حيث يصف الظاهرة الدلالية ويحللها تحليلا لغويا. ثم تتبع الدلالة في الصور الفنية الحديثة، سواء جاءت هذه الحداثة من كلمة أو تركيب كلمات في سياقات معينة، لأن جزءا من عالم الشاعر تتكون من الكلمات الحديثة. وربما لم تكن الحداثة في الكلمات بل السياق التركيبي جعلها تأخذ دلالة حديثة. ومن أهم النتائج في هذا البحث:

١. من خلال الدراسة الدلالية للمعجم الشعري في قصيدة "لا تصالح"، يمكن الالتفات إلى الصور التي كان للكلمة دور في تطوير عالمها.

٢. وقد استخدم الشاعر رموزا مختلفة لرسم حالة جديدة ما يمكن القول في شعر أمل دنقل أنه اتسم بالقدرة الفائقة على اعتماد معجم لغوي معاصر وتحمله شحنات دلالية وتعبيرية باهرة، رغم ما عرف عن شعره، بأنه يتباعد عن الغرابة والتعقيد والاستغراق في العوالم الذاتية واللغة اللامنطقية التي تنفر من الوضوح، فجاء شعره ينطوي على المعنى الواضح والبناء المنطقي والخطابية التي لا تفارق شعره.

٣. نلاحظ في ثنائية العلاقات الإيجابية والسلبية في قصيدة "لا تصالح" أنها جاءت في سياقٍ شكّل طبيعة مزدجة للعلاقات الإيجابية والسلبية وأنهما مرتبطان ارتباط جانبي الورقة الواحدة.

٤. تتبيّن أهمية الدلالة السياقية في القصيدة إلى جانب الدلالة المعجمية من منطلق ما كان للسياق من دور في تحديد دلالة الألفاظ.

٥. يلاحظ أن الشاعر قد استخدم مرة علاقات مترادفة في الحقل الواحد (كف، يد) و(حسام، سيف)، ومرة نراه يستخدم اللفظ مكتفيا بدلالتها المعجمية الأصلية ومرة يتعدى ذلك إلى دلالات هامشية تتطابق مع المعنى المعجمي الأصلي.

٦. كما أن الشاعر حمّل الألفاظ دلالات مجازية تبعث مجمل الرموز الدالة على مصداقية الرفض والاستنكار. ومن خلال هذه الدلالات المجازية يبني الشاعر لغته الشعرية ومعجمه الخاص في الرفض والتغيير في الموقف وتجاوز الآني المدان.

٧. وأكثر ما تمثل ذلك في لفظ الدم، حيث جاءت بارزة من بين جميع الألفاظ لكونها من جهة تحمل ثنائية دلالية ولكونها من جهة أخرى جاءت لتحمل معاني متعددة

لوقوعها في سياق تركيبي معين أو لمصاحبتها اللغوية ما يجعلها توحي مرة بالحرب والقتال والموت ومرة بعدم التصالح والرفض وأخرى بالمواجهة والثأر...

٨. فأمل دنقل لا يتوقف في أن يستشف هذا الكون الدلالي للدم وغيره كالسيف مثلا عند هذه الحدود، بل يسعى شعريا إلى تعميقهاوإثارتها لتنفتح على منطق يتسم بالسيميائية ويسجل أعلى نسبة حضوريا في الساحة.

٩. رغم تكرار الألفاظ وتكرار الدلالة أي قلة التوليد الدلالي في القصيدة، إلا أن هذا التكرار، لا يمكن اعتباره تزايدا على القصيدة لما وفّره من مجال في دراستها ضمن نظرية الحقول الدلالية، وذلك لأهمية القضية التي كان يؤكد عليها الشاعر. وهي قضية أساسية بامتياز ما زال العالم العربي يعاني منها بفعل تلك الاتفاقيات المشؤومة التي وقف الشاعر موقف الرافض لها رفضا قاطعا سواء في هذه القصيدة أو غيرها من قصائده السياسية.

تعتبر هذه الدراسة جزءا يسيرا من مساحة الدراسة الدلالية التي تحمل في طيّاتها، جوانب متعددة من الدلالات (صوتية، صرفية، نحوية ومعجمية) وتتشعب الدراسة الدلالية من الجانب الأخير المعجمي. ولهذا يبقى المجال واسعا لتناول هذا البحث دراسة وتوسيعها لتشمل كلا من هذه الجوانب. كما أن هناك حقولا أخرى في قصيدة "لا تصالح"، ضاق مجال البحث ذرعا به، فبإمكان الباحثين والدارسين أن يتناولوها في دراسات دلالية مستقلة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. ابن جني، أبو الفتح (١٩٩٧م). الخصائص. تحقيق محمد علي النجار. القاهرة: دار الكتب.

٢. أنيس، إبراهيم (دون تا). الأصوات اللغوية. القاهرة: مكتبة نهضة مصر.

٣. ـــــــــــــ (١٩٨٤م). دلالة الألفاظ. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

٤. بشر، محمد كمال (٢٠٠٥م). التفكير اللغوي بين القديم والجديد. القاهرة: دار غريب.

٥. جربوعة، إيمان (٢٠١٠م). «قصيدة مديح الظل العالي لمحمود درويش». رسالة الدكتوراه، الجزائر: جامعة الأخوة منتوري.

٦. حسام الدين، كريم زكي (٢٠٠٠م). التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه. ج ١، القاهرة: دار غريب.

٧. حسان، تمام (١٩٨٩م). مناهج البحث في اللغة. القاهرة: مكتبة النسر للطباعة والنشر.

٨. عباس، حسن (١٩٩٨م). خصائص الحروف العربية ومعانيها. دمشق: منشورات دار إتحاد الكتاب العرب.

٩. الداية، فايز (١٩٩٦م). علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق. دمشق: دار الفكر.

١٠. دنقل، أمل (١٩٨٧م). الأعمال الكاملة. القاهرة: مكتبة مدبولي.

١١. شبلول، أحمد فضل (٢٠٠٦م). «قراءة في قصيدة لا تصالح لأمل دنقل». موقع جهة الشعر، ٢٠٠٦/١١/٢٦م، www.jehat.com/Amal.

١٢. عزوز، أحمد (٢٠٠٢م). أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

١٣. عصفور، جابر (٢٠١٤م). "أمل دنقل الشاعر القومي". موقع ألف، ٢٠١٤/٣/٤م، www.aleftoday.info/article.

١٤. فوزي، منير (١٩٩٥م). صورة الدم في شعر أمل دنقل. القاهرة: دار المعارف.

١٥. كشاورز، حبيب (١٣٩٤ش). «الرمزية في الشعر الحر قصيدة أمل دنقل لا تصالح نموذجا». ١٣٩٤/٨/١٤ش، www.keshavarz.ir/post/4105.

١٦. الكراعين، أحمد نعيم (١٩٩٣م). علم الدلالة بين النظر والتطبيق. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

١٧. مبروك، مراد عبد الرحمن (١٩٩٧م). الدم وثنائية الدلالة. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٨. مختار، أحمد عمر (١٩٩٨م). علم الدلالة. القاهرة: عالم الكتب.

١٩. المساوي، عبد السلام (٢٠٠٤م). «المتخيل الشعري عند أمل دنقل»، موقع جهة الشعر. www.jehat.com/Amal.

٢٠. مصطفى، إبراهيم؛ وآخرون (٢٠٠٤م). المعجم الوسيط. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.

٢١. نجفي أيوكي، علي؛ يكانه، فاطمة (١٤٣٤هـ). «التناص في شعر الشاعر المصري أمل دنقل». مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة طهران، صص٥٩-٨٢.

٢٢. هلال، عبد الغفار حامد (١٩٨٦م). علم اللغة بين القديم والحديث. القاهرة: مطبعة الجبلاوي.

٢٣. هلال، عبد الناصر (٢٠٠٩م). رؤية العالم في شعر أمل دنقل. القاهرة: دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع.